أيام الله

لفضيلة الشيخ
محمد علي سلامة
مدير أوقاف بورسعيد

مطبعة اسكندرية الحديثة

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر جمعية الدعوة إلى الله بمصر الجديدة - محافظة القاهرة القيام بطبع هذا الكتاب ونشره لنفع المسلمين بما فيه من معانٍ سامية وحكمٍ عالية فهى تقدم خالص الشكر لفضيلة الشيخ / محمد على سلامة مدير أوقاف بورسعيد لقيامة بهذا العمل الجليل حسبةً لوجه الله تعالى وابتغاء لنفع إخوانه المسلمين فى شتى بقاع الأرض ونسأل الله تعال أن يجازيه أفضل الجزاء على قيامه بهذا المجهود الشاق ورفضه الحصول على أى قيمة مادية أو معنوية مقابل هذا العمل كما نرجوا من القارىء المسلم أن ييسر لأخيه المسلم الاطلاع على هذا الكتاب بعد قراءته له حتى يعم النفع لجميع المسلمين .

رئيس الجمعية

مختار حافظ حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول بلا بداية ، الآخر بلا نهاية ، الأزلى بلا سابق ، الأبدى بلا لاحق ، أول فى آخريته ، آخر فى أوليته ، أزلى فى أبديته ، أبدى فى أزليته ، أوجد العوالم من العدم بقدرته ، وأمدهم بعنايته ورعايته ، ثم يميتهم بعد ذلك بقهره وقوته ، ثم يبعثهم يوم القيامة بأمره ومشيئته ، لامعقب لحكمه ، ولاراد لقضائه ، وهو على كل شيء قدير .

والصلاة والسلام على أول خلق الله ، وخاتم رسل الله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادى إلى صراط مستقيم ، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى ، وكواكب الهدى ، ومن تابعهم من غير ضلالة وهوى إلى يوم الدين .

وبعد : فإن إخوانى فى الله رضى الله عنهم ، قد طلبوا منى وألحوا علىّ كثيراً أن أكتب لهم رسالة صغيرة ، أبين فيها أيام الله ، فاستخرت الله تعالى وكتبت لنفسى ولإخوانى المسلمين هذه الرسالة ، التى أرجو الله عزّ وجلّ أن يجعلها ذكرى لقلبى ، وتذكرةً لإخوانى . ولقد بينت فيها على قدرى مافتح الله به علىّ من أخبار هذه الأيام ، وما أجراه الله فيها وسيجريه من أحداث هائلة تهم كل مؤمن ومؤمنة ، ويحتاج إلى العلم بها كل مسلم ومسلمة ، فإن معرفة هذه الأيام دين ندين إلى الله به ، والتذكير بها واجب على العلماء العاملين ، حتى يستحضرها كل مسلم على قدر قواه الروحانية ، ويعيش فى ذكرياتها فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيـام الله

قال الله تعالى : " **وذكّرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور** " (١) . وأيام الله هى الأوقات الخالدة ذات الأمجاد العظيمة ، والشئون العجيبة . وهى الآنات التى أظهر الله فيها مكنون غيبه ، وماقدره فى أزله ، وماأراده من علمه .

وهذه الأيام لجلال قدرها جعلها الله فاتحة وبداية للوجود الإنسانى ، كما جعلها تكريماً وتشريفاً لرسله وأنبيائه ، وجعلها كذلك حركة وحياة للإنسان ثم ختم بها حياته ، وطوى بها صحيفة أعماله ، ثم أعاده فيها إليه للمساءلة والحساب ، ثم جازاه فيها على حسن صنيعه بالخلود فى دار النعيم ، أو تعذيبه على سوء أفعاله وقبائح صفاته فى نار الجحيم .

وتلك الأيام قد أقسمَ الله بها فى كتابه العزيز ، ليلفت الأنظار إليها ، ويشد الانتباه إليها ، فقال عزَّ شأنه : " **والعصر إن الإنسان لفى خسر** " (٢) . إشادة بقيمة الزمن ، وتنويهاً بقدره ، وأنه عمر الإنسان وحياته ، وهى أثمن مافى الوجود كله ، وأغلى من الذهب والفضة ، والأهل والزوجة والولد ، ثم أقسم الله سبحانه بيوم القيامة ، فقال سبحانه : " **لا أقسم بيوم القيامة** " (٣) . وقال جل شأنه : " **واليوم الموعود** " (٤) . ليبين مواقف هذا اليوم ومشاهده ، وأحواله وأهواله ، وماينتهى إليه الأمر ، من تكريم المؤمنين ، وإهانة الكافرين .

---

(١) آية (٥) إبراهيم . (٢) آية (١ - ٢) العصر .

(٣) آية (١) القيامة (٤) آية (٢) البروج .

وهذه الأيام سأذكرها وأبينها على قدر معرفتى ، والله ورسوله أعلم ، وإنما هى تذكرة وذكرى لنفسى ولإخوانى المسلمين ، عسى الله أن ينفعنى وينفعهم بها ، إنه نعم المولى ونعم السميع المجيب .

وتلك الأيام هى كالآتى :

اليوم الأول : يوم الميثاق .

وهو اليوم الذى جمع الله فيه الأنبياء والمرسلين ، وأخذ عليهم عهداً موثقاً ، وعقداً قوياً ، شهد عليه الحق عزَّ وجلَّ وأشهدهم جميعاً عليه ، بأن يؤمنوا برسول الله الخاتم ، وأن ينصروه ويؤيدوه ، وقد أخبرنا الله بهذا الميثاق فى قوله تعالى " **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق . لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** "[1]

وإخبار الله لنا بهذا الميثاق ، ليعلم الخلق أجمعون قدر سيدنا رسول الله ﷺ ، ومنزلته من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وأنه سيدهم وخاتمهم ورسولهم الذى آمنوا به جميعاً ، ونصروه وتابعوه ، وبشروا به أممهم ، ودعوهم إلى الإيمان به مثلهم ، حتى إن اليهود الذين كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية قبل بعثته ﷺ ، كانوا يستنصرون به ، ويستفتحون به على أعدائهم ، ويقولون لهم : سيُبعث نبى قد أظلنا زمانه ، نؤمن به ونتبعه ، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكانوا ينعتونه لهم حسب ماجاء فى كتبهم المقدسة " **فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** "[2] .

---

(١) آية (٨١ ـ ٨٢) آل عمران .

(٢) آية (٨٩) البقرة .

وبفضل الله أبين معنى هذه الآية الشريفة على قدر مافهمت منها ، وفوق كل ذى علم عليم . فيقول الله لحبيبه ومصطفاه : أذكر يامحمد للمومنين وللناس جميعاً هذا اليوم الذى أخذ الله فيه العهد والميثاق على جميع الأنبياء إليك ، وذكرهم به وبين لهم هذا المشهد العظيم ، ليزداد المؤمنون إيمانا بأيات الله ، وبأيام الله ، وبأخبار الله عزَّ وجلَّ ، وليراجع الكافرون - من اليهود والنصارى وغيرهم - أنفسهم ويذعنوا لله ولرسوله ، الذى أذعن له الأنبياء ، وصدَّق به المرسلون من الأزل ، وهم الذين تلقوا عن الله أحكامه ودينه ورسالاته ، وبلغوها إليهم وإلى جميع العالمين . ومع ذلك فهم عليهم السلام أول من آمن به وصدَّقه ونصره ، ولم يتأخر واحد منهم ، وإن كنتم تزعمون أنكم أتباع الرسل والأنبياء من قبل ، فهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون أول المؤمنين به ﷺ ، فما لكم قد كفرتم وجحدتم به .

وهذه الآية الشريفة حجة قصمت ظهور الكافرين والمكذبين أجمعين ، ولم تبق لهم أدنى شبهة يتشبثون بها ، وقد قطعت عليهم السبيل من كل جانب ، وتركتهم فى حيرة من أمرهم ، وفى ظلمات لايبصرون ، لأنها معجزة لرسول الله ﷺ لم يستطيعوا إنكارها ولامعارضتها .

وإنه لشرف عظيم ، وتكريم فى غاية الإجلال والاعظام ، لرسول الله ، أن يتولى الله بنفسه أخذ هذا الميثاق له ﷺ .

وقول الله تعالى (**ميثاق النبيين**) ولم يقل المرسلين ، لأن النبوة تسبق الرسالة ، ولأنهم أكرموا بالنبوة فى هذا المشهد . والنبوة فى حقيقتها إخبار الله تعالى من اصطفاهم من خلقه بمعانى الغيب المصون ، وبما أراده الله منهم ومن عباده من حقيقة الدين ، الذى أوجبه الله عليهم وعلى الناس أجمعين . أما الرسالة فإنها تكون فى عالمَ الكون ، وفى الوقت الذى أقته الله لكل رسول ، وفى القوم الذين أراد الله أن يرسله إليهم .

وقوله تعالى (**لما أتيتكم من كتاب وحكمة**) يعنى بحق ما أعطيتكم ومنحتكم من كتاب وحكمة . والكتاب هو ماأنزله الله إليهم من الهدى والنور ، والآداب والأحكام والوصايا ، والحكمة هى ماأكرمهم الله به من الحلم والرحمة ، والتواضع والصبر ، والرضى والقوة والشجاعة فى تبليغ الرسالة ، ويجوز أن تكون الحكمة هى ماوهبهم الله إياه من العلوم والمعارف القدسية الخاصة ، التى يأتنسون بها فى أنفسهم ، ويفيضونها على من أحبهم الله وتابعوهم بصدق وولاء ، من أوصيائهم وأمنائهم وورثتهم .

وقد استحلفهم الله بالكتاب والحكمة لأنهما أجلُّ نعمة ، وأعظم فضل ، وأكبر عطاء أسعدهم الله به ، وفضَّلهم به على سائر العالمين . فلم يكن هناك نعمة فى الدنيا والآخرة أعظم من ذلك .

قوله تعالى (**ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم**) . وقد ذكر الله حبيبه فى هذا المشهد الجليل بالرسالة ، ولم يذكره بالنبوة كباقى الأنبياء ، والرسالة هى النبوة والرسالة معاً ، ذلك لنعلم أنه ﷺ رسول الله من القدم ومن الأزل ، وأنه فى هذا المشهد كان رسولاً للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وأنهم فعلاً آمنوا به ، وأسلموا له ، وأقرُّوا بفضله ، وذلك إنما يكون بعد معاينته ومشاهدته ، والتعرف عليه ﷺ . لأن الحضرة حضرة كشف وعيان ، وحضرة إطلاق وتمكين وبيان . ولذلك لما جاءت دورة الكيان ، وقام كل رسول بدعوة قومه إلى الله ، وقابلتهم الشدائد والخطوب ، كانوا يستغيثون برسول الله ﷺ ، ويتوسلون بجاهه إلى الله عزَّ وجلَّ ، فينصرهم الله ، لأنهم عرفوا قدره ومكانته عند الله عزَّ وجلَّ يوم أخذ الميثاق عليهم . والتنوين فى كلمة (رسولٌ) للتعظيم .

قوله تعالى (**مصدِّقٌ لما معكم**) من الكتاب والحكمة ، يعنى مؤكد له ، ومبين له ، وكاشف لما التبس منه على الناس ، وخصوصاً

ماغيرَّه وبدَّله وحرَّفه أهل الكتاب .

وقوله تعالى (**ثم جاءكم رسول**) يعنى حضر إليكم . وقد حضر إليهم فى أخذ الميثاق حقيقة لا تمثيلاً ، ليشهدوه وليعرفوه فلا ينكروه بعد ذلك . وإنى أعتقد والحمد لله ، أن رسول الله ﷺ قد جاء إلى كل نبى ورسول فى عالم الكون بحقيقته التى شهده عليها يوم الميثاق ، لينصره ويثبته ويؤيده ، ويُشْهِدَه من الأسرار والغيوب التى يتحقق بها كل منهم ، أنه ﷺ رسولهم وسيدهم وخاتمهم ، وأنهم قد أنتفعوا به ، وتلقوا عنه ، وتعلموا منه مالم يكونوا يعلمون ، ولا عجب فى ذلك ولاغرابة فيه ، فإن الأرواح الكاملة التى وهبها الله لرسله ، لها طاقات وقدرات ، تعجز عن إدراكها أرواح المؤمنين ، ولو قرأت معى قول الله تعالى " **فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين** " (١) . لرأيت العجب العجاب . وشهدت معى الأسرار وقد رفع عنها الحجاب ، والله يرزق من يشاء بغير حساب .

قوله تعالى (**لتؤمنن به ولتنصرنه**) أى ياأيها الأنبياء بحق ماآتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به ولتنصرنه . وكما أنه جاءكم مصدق لما معكم ومؤكد له ، وناصر لكم على أعدائكم ، وشاهد ببراءتكم مما نسبوه إليكم ، وشاهد بصدقكم وتبليغكم ماأرسلتم به ، فآمنوا به وصدقوه وانصروه كذلك .

وقد جعل الله شهادته ﷺ للأنبياء فى هذه الآية الشريفة وتصديقه لهم ، فى مقابلة إيمانهم به ونصرتهم له عليه الصلاة والسلام ، ليكون هو ﷺ مساوٍ لهم جميعاً . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقال جلَّ شأنه " **وكان فضل الله عليك عظيماً** " (٢) .

---

(١) آية (٨) النمل .

(٢) آية (١١٣) النساء

قوله تعالى (**قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى**) أى قال الله للأنبياء أأقررتم . والإقرار هو الاعتراف المتكرر من المعترف ، لأن الإيمان يحتاج إلى التجديد وكثره الإقرار به من المؤمن ، فإننا جميعاً فى كل وقت نكرر الإقرار بالإيمان ، ونقول فى الصلاة والأذان والإقامة ، وغيرها من العبادات والأذكار ، أشهد أن لا اله إلاَّ الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . وإن هذا الإعتراف المتكرر هو قضية الإيمان الذى أمرنا الله به طول العمر ، من غير فتور أو توقف . (**وأخذتم على ذلكم إصرى**) يعنى قبلتم عهدى ، وعقدتم قلوبكم على الإيمان به ونصرته ﷺ .

(**قالوا أقررنا**) أى قال الأنبياء عليهم السلام . أقررنا واعترفنا ، وقبلنا ماعاهدتنا عليه . (**قال فاشهدوا**) أى قال الله لهم : فاشهدوا أى وقِّعوا على هذا الميثاق بأسمائكم ، واشهدوا بذلك على بعضكم وعلى أنفسكم . (**وأنا معكم من الشاهدين**) يعنى المصدقين على شهادتكم ، والضامنين لقيامكم بموجباتها ، تعظيماً لحق حبيبى لديكم ، وواجبه عليكم .

ثم وجه الله الخطاب لأهل الكفر والعناد بقوله (**فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**) . والمعنى إن الذى يعرض عن الإيمان بهذه الأخبار ، وتلكم البيانات والحقائق ، التى أخبر الله بها فى هذه الآية الشريفة ، وتولى عن الإيمان بها بعد ذلك ، فإنه فاسق أى خارج على الله وآياته ، وخارج على دين الله وتشريعاته التى فرضها الله على رسله وأنبيائه وعلى الناس جميعاً إلى يوم الدين .

وهذا اليوم كان أول الأيام التى أخبرنا الله بها ، لأنه القاعدة الأولى فى تقرير حقائق الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر ، ولأن أنبياء الله هم أصل هذا الوجود الإنسانى ، فأراد الله أن يصقل هذا الأصل بالمعارف والعلوم والمشاهد الحقَّة ، لأنهم أمناء الله على خلقه ، ورسله إليهم ،

وليكونوا قبل الرسالة من أهل الشهادة واليقين الأكبر ، فتهون عليهم عظائم الأمور والمحن التى يلقونها فى الدنيا . وليس من شهد ورأى كمن سمع وتلقّى . ورسل الله قد فازوا بالأمرين ، فشهدوا وعاينوا وتلقوا وسمعوا .

ولى ملاحظة فى قوله تعالى (**فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**) . وهى أن هذه الآية الشريفة ، تشير إلى أن رسول الله ﷺ كان وقت أخْذِ الله العَهْدَ له من الأنبياء غائباً عنهم فى ستائر القدس الإلهى ، وبعد أن أقر الأنبياء واعترفوا به ﷺ ، اشتاقوا لرؤيته عليه السلام ، فأشهدهم الله إياه ، وأطلعهم عليه وقال لهم : هاهو ذا رسولى إليكم الذى عاهدتكم له ، فاشهدوه وتمتعوا به ، وتهنوا برؤيته وتلقوا عنه ، وأنا معكم من الشاهدين ، لأنه صورة حسنى وجمالى ، ومعنى كمالى وجلالى .

وليس المراد باليوم هو اليوم الفلكى ، وهو حركة الأرض أمام الشمس فى أربع وعشرين ساعة ، بل المراد هو الوقت الذى تم فيه هذا الميثاق عند الله عزَّ وجلَّ ، وإن كان لم يدر أحد تحديد هذا الوقت ، لأنه فى أزل الله القديم ، حيث لم يشهد هذا الميثاق إلَّا أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين ، وكانوا عند ذلك أرواحاً قدسية فى هياكل نورانية ، تجاوزت العقل والمعقول ، والرسوم والحدود والزمان والمكان ، والله من وراءهم محيط . وماعلى المؤمنين إلَّا التصديق والتسليم لأخبار الله عزَّ وجلَّ ، قائلين كما قال الراسخون فى العلم : " **آمنا به كل من عند ربنا** " (١) .

---

(١) آية (٧) آل عمران .

اليوم الثانى : يوم ألست بربكم

وقد جمع الله فى هذا اليوم درية بنى آدم كلهم ، بعد أن استخرجها من أصلاب آبائهم ، وأخذ عليهم العهد والميثاق أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً ، وأشهدهم على أنفسهم . وليس هناك دليل أقوى من اعتراف الإنسان وشهادته على نفسه ، فالاقرار والاعتراف سيد الأدلة .

وقد أخبر الله عزَّ وجلَّ الناس جميعاً بشأن هذا اليوم ليذكروه ولاينسوه ، وليعلموا أن الله عزَّ وجلَّ تعهَّدهم من بداية أن خلقهم ، فعرَّفهم وعلَّمهم ، واطَّلع عليهم بمعانى الربوبية ، وخاطبهم وسمعوا منه وأجابوه سبحانه مذعنين إليه ، مؤمنين به .

وهذا الخبر من الله تعالى لعباده بمثابة الإعلان والإنذار لهم ، وهو قوله سبحانه وتعالى " **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** " (١) .

وهذه الآية الشريفة قررت عمومية القرآن ، وشمولية الرسالة المحمدية لجميع بنى البشر ، لأن الله أخذ فيها العهد على كل الناس بتوحيده وعبادته . وهى أيضاً معجزة لرسول الله ﷺ ، لأنها أخبرت عن غيب من غيوب القدر الإلهى الذى أجراه الله على جميع البشرية ، وقد نسيته بعد أن حجبت الروح بمادة الجسم الكثيفة المظلمة ، فذكَّرها الله به على لسان رسوله ﷺ ، ليوضِّح لنا أنه ﷺ هو المذكِّر عن الله عزَّ وجلَّ ، وهو نور العلم القدسى ، وسراج العالم الروحانى والعقلانى .

وفى الآية معان كثيرة جداً ، نقتطف من رياض أزهارها مانستطيعه ، لنشم أريجه الزكى ، وعبيره الشذى ، فقوله تعالى (وإذ

(١) آية (١٧٢ - ١٧٣) الأعراف .

أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرتيهم) معناها : وذكِّرهم يامحمد بهذه الحقيقة ، وتلك الحادثة ، وهذا الوقت الذى أخذ فيه ربك ذرية بنى آدم من ظهور آبائهم ، وأشهدهم على أنفسهم : وهذا شيء عجيب حقاً ، إذ أن هذا المشهد يختلف كثيراً عن مشهد يوم الميثاق السابق ، فهذا المشهد فيه ذرية أخذها الرب جلّ جلاله من أصلاب الآباء ، وهى أمور مادية وكونية ، وليست الأمور قاصرة على الأرواح فقط !! ، وذلك لنؤمن أن قدرة الله لاتعجز عن شيء ، فإذا أراد الله شيئاً أبرزته القدرة على حسب مراد الله عزَّ وجلَّ .

ولم يكن المشهد أمراً تمثيلياً ، ولكنه حقيقة واقعة - لأن التمثيل والتصوير والتخييل أنما يتأتى ممن عجز عن إبراز الحقيقة وإيجادها ، فيمثلها ويصورها للخيال ، ليستحضرها الخيال على قدر قوته . ولايجوز ذلك على الله عزَّ وجلَّ ، القادر الحكيم الذى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون - ولذلك أمر الله رسوله أن يذكِّر بها ويوضح أمرها للناس أجمعين .

ولقد أقام الله هذه الذرية فى هياكلها بين يديه عزَّ وجلَّ ، وأقبل عليها بوجهه الكريم ، وأشهدهم على أنفسهم ، وتجلى لهم بمعانى الربوبية ، وخاطبهم وقال لهم (ألست بربكم) .

والاستفهام هنا ليس على حقيقته ، ولكنه طلب الإقرار منهم بأنه ربهم وخالقهم ، ومالكهم ومدبر أمرهم ، وهو استفهام تقريرى كما يقول علماء اللغة ، فإنهم أقرُّوا وشهدوا على أنفسهم بأنه سبحانه ربهم ، و(قالوا) فى اعترافهم بهذا (بلى شهدنا) أى نعم شهدنا على أنفسنا بأنك أنت ربنا ، لا إله غيرك ، ولاشريك لك ، ولامعبود سواك .

وهذا الاعتراف كان منهم فى هذا المشهد وهم فى عقل ووعى كامل ، لأنهم سمعوا الخطاب من الله عزَّ وجلَّ ، وعقلوه وأجابوا بهذا الجواب ، الذى يشعر بأنهم لم يكونوا فى حالة قهر أو خوف أو

إزعاج ، وإنما يشعر بأنهم كانوا فى هدوء واستقرار ، وسلامة وأمن ،

وهذه هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها لو تركوا وشأنهم من غير أن يتدخل فى أمورهم أحد . وهذا معنى قول رسول الله ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه "[1] .

قال تعالى : **(أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)** .

و (أن) هنا حرف تعليل ونفى ، بمعنى حتى لاتقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا اليوم ، وعن الإقرار والاعتراف بوحدانيتك وربوبيتك ، وعن شهادتنا على أنفسنا بذلك ، غافلين - والغافل عن الشيء هو الناسى له ، أو المشغول عنه بغيره ، حتى كأنه لم يكن مطلوباً منه - أو كنا عن هذا المشهد كله ، بما فيها من مخاطبة الله لنا ، ومواجهته إيانا بمعانى صفات الربوبية - من التربية والتعليم والتوجيه ، ومن القدرة والسيطرة والمراقبة والمحاسبة والاطِّلاع والإحاطة ، ومن الإيجاد والإمداد والخلق والتصوير ، والإعطاء والمنع ، والإحياء والإماتة ، وما إلى ذلك من صفات الربوبية التى أشهدها الله للناس يوم ألست - إنا كنا عن هذا كله غافلين .

قوله تعالى **(أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم)** . يعنى لايينبغى لكم أن تقولوا إنَّا كنا عن هذا الإشهاد والإقرار به غافلين ، ولا يجوز كذلك أن تقولوا إنما كفر آباؤنا وأشركوا من قبلنا ، ونحن كنا ذرية لهم من بعدهم تبعاً لهم ، ونسير على منهاجهم الذى وجدناهم عليه ، ولم نكن نعرف شيئاً ، غير ذلك ، ولم يأت إلينا رسول يبين لنا مانحن عليه من شرك وضلال ، فليس لنا ذنب فى هذا الكفر نستأهل الإهلاك والعذاب عليه ، ولكنه ذنب الآباء والأجداد الذين اتبَّعناهم ، فلا تأخذنا بما فعل المبطلون .

---

(١) رواه الترمزى عن أبى هريرة .

لايجوز ولايصح لكم أن تقولوا ذلك ، لأن الإيمان بالله أمر فطرى ، مقرر فى النفوس وفى الطبائع البشرية ، لايحتاج إلى رسول ولا إلى شيء غير عقولكم التى ميَّزكم الله بها عن جميع الكائنات ، فهى تدرك بداهة أن الله سبحانه واحد لاشريك له ، ولكن الرسول ضرورى ليعلِّمنا مايطلبه الله منا من عبادة ومعاملة ، وأخلاق واعتقاد بالغيب . وبهذا تبطل حجة من كفر بالله أو أشرك به ، لأن الإله الحق معروف بالبداهة والفطرة للعقول ، قال تعالى " **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** " (١) .

ومن رحمة الله بالإنسان أرسل إليه الرسل مذكرين ومعلمين ، ومبشرين ومنذرين ، حتى يؤمن الإنسان بأن الله تعهَّده فى كل طور من أطواره بالتربية والإرشاد ، والعناية والإمداد ، لأن النسيان شيء يعترى النفس البشرية ويخالط فطرتها . وهناك نفوس كاملة لم يتطرق إليها النسيان ، وذلك لصفاء جوهرها ، ونقاء فطرتها ، فإنها تنظر فيما حولها ، بل فى ذاتها ، فترى الأدلة والآثار شاهدة على وجود الواحد الأحد الإله الحق .

وقديماً قال العربى قبل مجيء الإسلام ، أثر الأقدام يدل على المسير والبعرة تدل البعير ، وهذه أرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، وسماء ذات أبراج ، وجبال راسيات ، وكواكب سيارات ، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ، وهذه نفس قد استجابت لفطرتها ، ولم تنسى عهد ألست بربكم . وقال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

من ألست لم ننسى ماقد شهدنا : من جمال الجميل إذ خاطبنا

وقد سُئل الأمام على رضى الله عنه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتذكر يوم ألست بربكم ؟ فقال : نعم أذكره وأذكر من كان عن يمينى ومن كان عن يسارى .

---

(١) آية (٢٥) لقمان .

وذلك لأن الله قرر الذرية فى هذا المشهد على مافطرها عليه من توحيده وعدم الإشراك به ، وهذا هو الإيمان فى حقيقته . أما الإيمان ببقيَّة القضايا الأخرى فيحتاج إلى بيان الرسول وإرشاده ، لأنه من الغيوب التي لم يطلب الله من الإنسان أن يدركها بنفسه من غير معلِّمٍ ومبين .

هذا وإنَّ يوم ألست بربكم تعيش الأرواح فى ذكرياته إلى وقت أن تلتقى بأجسادها فى بطن الأم . ومن الملاحظ أن جميع الذرية أذعنت وأجابت وقالت : (بلى شهدنا) ولم يتخلف أحد ، وذلك لأن الاعتراف بالرب الخالق الرازق ، الواحد الأحد ، أمر لايتأخر العقل عن إدراكه لأول وهلة ، ومن أول نظرة ، وعند أول سؤال يطرح عليه (من ربك ؟) لأنه أمر بديهى لايحتاج إلى تفكير .

ولماذا أخذ الله الذرية من الأصلاب وأشهدها على نفسها ؟

لأن الأرواح شاهدة بالألوهية والربوبية والوحدانية . بصفائها ونورانيتها ، ولكن الذرية المركبة من عناصر المادة هى التي تجحد وتنسى وتحجب ، فأحضرها الله وأشهدها وقررها . ولما اطَّلع الله عليهم ، وظهر لهم فى هذا اليوم بمعانى الربوبية ، وأشهدهم هذه المعانى العلية عياناً ، من غير حجاب ولاسحاب (**قالوا بلى شهدنا**) .

وإنما تشهد معانى الربوبية بالعقل والقلب ، والمشاعر التى فى الإنسان ، وهى الآلات والقوى التى استودعها الله فى الإنسان ليدرك بها الحقائق والمعانى الرفيعة . وهذه الآلات والقوى هى قضية تكريم الله للإنسان التى ميَّزه بها على سائر المخلوقات، قال تعالى : " **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** " (١) .

---

(١) آية (٧٠) الإسراء .

وكانت مدة اليوم الأول واليوم الثانى من أيام الله بقدر مادار فيهما من حديث الله عزَّ وجلَّ مع أنبيائه ، وأخذ العهد عليهم والميثاق منهم لرسول الله ﷺ أجمعين ، ومن حديث الله مع ذرية بنى آدم ، وتقريرهم على ربوبيته ووحدانيته . وبعد ذلك استمرت حقائق الأنبياء عليهم السلام فى رعاية يوم الميثاق ، وفى الأنس بهذا المشهد الى ماشاء الله ، وإلى أبد الآبدين ، حيث أنها أرواح كاملة لايتطرق إليها النسيان ، ولاتحجبها الحياة الكونية ، وكذلك استمرت أرواح ذرية بنى أدم فى مراقبة وملاحظة عهدها فى يوم ألست بربكم حتى استقرت فى أجسادها فى رحم الأم .

اليوم الثالث : يوم الدنيا

وهذا اليوم يبدأ من تكوين الإنسان من سلالة الطين ، ثم نطفة ، فعلقة ، فمضغة ، فعظاماً ، فكسوة العظام لحماً ، فإنشاءه خلقاً آخر ، وذلك بشق السمع والبصر واللسان والأنف ، واليدين والرجلين ، ومالى ذلك من المعدة والأمعاء ، والكبد والطحال ، والقلب والرئتين ، والأوردة والشرايين وغيرها . ثم يأذن الله للروح أن تدخل إلى هذا الجسم الذى تكامل خلقه ، والسكن الذى تم بنيانه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ثم يولد ويتدرج فى طفولته إلى أن يبلغ أشده صبياً ، فشاباً ، فرجلاً ، فكهلاً ، فشيخاً كبيراً ، ثم تنتهى حياته بعد ذلك .

وهذا اليوم هو عمر الإنسان وحياته ، وهو عصره وحظه ونصيبه من الدنيا ، وهذا اليوم هو يوم الاختبار والابتلاء من الله بالأوامر والتكاليف والشرائع ، وابتلاه فيه كذلك بالمحن والخطوب والأمراض وغيرها ، واختباره أيضاً فى هذا اليوم بالصحة والعافية ، والمال والزوجة والأولاد ، والشهوات والمتع واللذات .

وهذا اليوم من أخطر الأيام التى يمر بها الإنسان ، إذ أنه تتوقف عليه سعادته أو شقاؤه بعد ذلك ، وأنه يوم العمل والحركة ، ويوم

الجد والاجتهاد ، ويوم الإيمان والإسلام والإحسان والإيقان ، ويوم يشتد ندم الإنسان عليه إن ضيعه ، ويعظم أسفه على فقدان جزء منه من غير فائدة ، وقد عبَّر النبى ﷺ عن يوم الدنيا بقوله " الدنيا كسوق انتصب ثم انفضَّ ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر " .

وهو يوم يغتَّر به أهل الغفلة والجهالة ، ويغتنمه أهل الذكر والنباهة . وقد أكثر الله من الحديث عن شأن هذا اليوم فى القرآن الكريم ، فقال سبحانه : " **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً . وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ومالحياة الدنيا إلَّا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** " (١) .

والمعنى الإجمالى لهذه الآيات الشريفة : أن الله عزَّ وجلَّ وضَّح لنا شأن الحياة الدنيا بالنسبة للمفتونين بها والمخدوعين بحبها ، وأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر بالآباء والقبائل ، والعصبية والمناصب ، والوظائف والجاه والمنزلة ، والأثاث والرياش واللباس والمراكب ، والقصور والمزارع وما إلى ذلك ، وتكاثر فى الأموال والأولاد ، يعنى إجتهاد فى جمع الأموال وتكثيرها وتكديسها واقتنائها ، وكذلك تكاثر فى الأولاد يعنى كثرة التزاوج ، وكثرة التناسل حتى يكون الإنسان مفاخرا ومُدلاًّ على أقرانه وأنداده بكثرة أولاده وذريته ، ومباهياً من كان أقل منه فى الأولاد والأموال كما قال الرجل لصاحبه فى القرآن الكريم : " **أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً** " (٢) .

---

(١) آية (٢٠ - ٢١) الحديد .

(٢) آية (٣٤) الكهف .

ثم أراد الحق سبحانه أن يضع بين أيدينا صورة محسوسة ، ومثلاً مرئياً ملموساً ، يقرِّب لنا به حقيقة الحياة الدنيا ، حتى لاتنطلى علينا ولاتخدعنا ، فذكر لنا أن شأنها كزرع أعجب الزراع شكله ومنظره ، وفرحوابخضرته ونضرته ، وهيجانه وثماره ، فإذا به قد اصفر لونه ، وذبل عوده ، وصار حطاماً متهالكاً وهشيماً دارساً . وهذا المثل قد كشف الغطاء عن حقيقة الدنيا لكل عاقل نظر إليها من خلال القرآن الكريم وبيان الله عزَّ وجلَّ لشأنها .

ولذلك يوضح الله أن الذين يعيشون فى الدنيا من أجل هذه الأشياء التى مرَّ ذكرها ، مخدوعون مغرورون بها ، فإذا انتهت حياتهم هذه ندموا ندامتين ندامة على ذهابها عنهم إلى غيرهم من الورثة ، وضياعها من أيديهم ، وندامة على معاناتهم وشقاءهم فى جمعها من غير فائدة أخذوها من وراء ذلك ، ومحاسبة الله لهم على ذلك . وهذا معنى قوله تعالى **(وما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور)**

ثم أمر الله المؤمنين بالتسابق والمسابقة إلى المغفرة وإلى الجنة . والجنة والمغفرة هما فى الحقيقة ، التوبة والإنابة والعمل الصالح الذى يؤَهِّل الإنسان لمغفرة الله وجنته . قال صلى الله عليه وسلم : «كل أمتى يدخلون الجنة إلاَّ من أبى ، قالوا : ومن يأبى يارسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[1]

والتسابق هو الإسراع والتعجل حتى لاتضيع الفرصة على المؤمنين ، لأن العمر قصير جداً ، والمطلوب عظيم جداً . أما قصر العمر فإن الأنسان لايدرى أيدرك الغد أم لا ، فهو فى شك فى بقاءه ساعة أخرى بعد ساعته التى هو فيها . ومن هنا كان العمر قصيراً جداً . وأما كون المطلوب عظيماً جداً ، فلأن طلب المؤمن هو مغفرة الله وجنته ورضوانه . ومن هنا أمرنا الله بالسباق والتسابق نحو تحصيل هذه الخطوة فى دار النعيم المقيم .

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة .

وتلكم الجنة (**عرضها كعرض السماء والأرض**) . وذلك معناه ان السموات والأرض لاشك فى وجودهما ، وهما معروضتان أمامنا كما نرى ، ونعيش فيهما نستظل بالسماء وننتفع بما فيها ، ونمشى على الأرض وننتفع بخيراتها ، فكذلك الجنة التى عرضها الله علينا فى القرآن هى حق اليقين لاشك فيها ، فإن الله الذى سخر لنا السموات والأرض وعرضهما علينا للأنتفاع بكل مافيهما ، هو الذى أخبرنا عن الجنة وعرض علينا صورتها ومحاسنها فى القرآن المجيد . فإذا كان هناك شك فى تسخير السموات والأرض لنا ـ وذلك مستحيل ، لأن عرضهما علينا ، وتسخيرهما لنا ، من البديهيات التى لايختلف فيها أحد ، ومن المسلَّمات عند كل الخلق مسلمهم وكافرهم ـ فإن أمر الجنة بالنسبة للمؤمنين كذلك ، والله على كل شىء قدير .

وإن كُمَّل المؤمنين من أهل اليقين ، إذا قاموا إلى عمل صالح ، وطاعة من الطاعات ، شهدوا أنهم قائمون إلى مغفرة الله وجنته ، فتسابقت أعضاؤهم ونواياهم ، وعقولهم وقلوبهم ومشاعرهم ، وكل ذرة فيهم ، إلى المغفرة والجنة ، إذ أنهم يرون طاعة الله ورسوله هى جنة النعيم ، فيسارعون إليها . ويرون المعصية هى نار الجحيم فيهربون منها .

وتلك الجنة (**أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**) . وأُعِدَّت يعنى جُهِّزت لهم ، وأنها تنتظر قدومهم ، بل إنها تسعى فى استقبالهم والحفاوة بهم ، كما قال تعال : «**وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد**»[1] .

والإيمان بالله ورسله عمل من أعمال القلوب الذى يشرق نوره على الأجسام والجوارح فيشدُّها إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) آية (٣١) ق .

وسلم ، والتأسى به فى أعماله وأقواله وأحواله ، وأخلاقه ومعاملاته وعباداته .

والإيمان والعمل الصالح إنما يكون من الإنسان فى فترة وجوده فى هذه الدنيا . وبذلك قد انكشف المراد من قول الله عزَّ وجلَّ (**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**) إلى آخر الآية الشريفة . فاللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر ، هى الحياة الدنيئة الرديئة الهابطة الضائعة ، أما حياة المؤمن فى هذه الدنيا فليست كذلك ، فهى سباق للخير والبِّر والصالحات ، وهى جهاد فى الإيمان بالله ورسله ، وهى عمل لعمارة الدنيا بالحق والعدل والعلم والنفع العام والخاص .

ومن هنا كان يوم الدنيا للمؤمن يوم مغانم ومكاسب ، ومنافع وأرباح هائلة ، وتحصيل للمكارم والأخلاق العالية ، وإن أنفاسه فى هذا اليوم أغلى من النفائس والدرر والجواهر ، وإنه يبخل بأصغر جزء من عمره أن يضيع فى غير فائدة ، لأنه يعيش مرَّةً واحدة فى كل لحظة من عمره ، فهو يُعمِّرها بما يسعده عاجلاً وآجلاً . وقد قال العارف بالله : «إن الكون رواية تمثيلية تمثل أدوار جد وكمال ، وتحوى فصول هزل ونقص وضلال . وأبطال التمثيل قسمان : قسم يدعو إلى الحق ، وآخر يهدى إلى الضلال ، فالذين يدعون للحق الأنبياء المرسلون والعلماء العاملون ، وأئمة الضلال فرعون وهامان وقارون والنمرود ويؤيد دعواهم إبليس اللعين وكل مغرور بزخارف الدنيا ونسيان يوم الدين»

وقال رسول االله صلى الله عليه وسلم : «نعمت الدنيا مطية المؤمن للدار الآخرة»[1] وقال صلى الله عليه وسلم : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى

---

(١) رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق .

على الله الأمانى»[1]

والكيِّس يعنى العاقل ، ودان نفسه يعنى حمَّلها المسئولية وطالبها بالسداد والوفاء ، واتهمهاداثماً بالقصور والتقصير ، وحاسبها بصفة مستمرة على ذلك ، حتى لا تطغى عليه ، ولاتقهره على معصية الله ورسوله . والعاجز هو الضعيف الجاهل الذى ترك نفسه تتبع هواها وتتمادى فيه ، ولم يَقْوَ على حبسها ومنعها ، فهامت به فى أودية الضلال والشهوات ، وتاهت به فى أفعال السوء والظلم والمعاصى ، فأوردته المهالك والأخطار الشديدة ، وأخذ يمنيها بالأحلام والأمانى الباطلة ، ويطلب من الله تحقيق هذه الأحلام والأمانى بدون حق «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه»[2] . وهنالك يندم ويتحسر ولاينفعه الندم ، ويقول «**ياليتنى قدمت لحياتى**»[3] .

وقد أقسم الله بالعصر ، وهو يوم الحياة الدنيا ، تبياناً لقدره وأهميته ، وتنبيهاً على شأنه وحرمته وقيمته . فقال سبحانه : «**والعصر إن الإنسان لفى خسر**»[4] . والعصر هو عمر الأنسان ، والمقسوم عليه هو خسران الإنسان العاجز الغافل الذى لم يدر قيمة عمره وحياته ، وأضاعها سدىً ، **إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**»[5] ، فقد خرجوا من الخسران وغنموا المكاسب العظيمة فى عصرهم ، فآمنوا واجتهدوا فى فعل الخيرات وعمل الصالحات ، واستمسكوا بالحق والصبر ، ووصى بعضهم بعضاً بهما ، وعرفوا لعمرهم حقه ومكانته ، وانتهزوا فرصته ولم يضيعوا شيئاً منه ، فطوبى لهم وحسن مآب .

---

(١) رواه ابن المبارك وأحمد والترمذى والبيهقى فى السنن والحاكم فى المستدرك عن شداد بن أوس

(٢) آية (٣٩) النور .

(٣) آية (٢٤) الفجر .

(٤) آية (١ - ٢) العصر .

(٥) آية (٣) العصر .

فكم من جاهل مات غما بحسرة   وكم من عالم نال حظاً من الخير .

وإن يوم الدنيا ينتهى بالموت . أسأل الله العلى القدير أن يوفقنى وإخوانى المسلمين فى هذا اليوم لما يحبه ويرضاه ، وأن يتقبل منا وأن يقبل علينا بوجهه الكريم ، إنه مجيب الدعاء ، وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اليوم الرابع : يوم البرزخ

وهذا اليوم يبدأ بالموت ، ويستمر إلى يوم البعث . والبرزخ يعنى الحجاب والفاصل الذى يفصل ويحجز بين الشيئين . وقد حجز يوم البرزخ بين الحياة فى الدنيا وبين الحياة فى الآخرة ، وفصل بين يوم الدنيا ويوم البعث ، أو أنه حجز بين الأحياء وبين الأموات فلا يكاد الأحياء يعرفون شيئاً من أمر الأموات إلَّا ما أخبرنا الله ورسوله به عنهم .

والبرزخ هو الحجاب المعنوى الذى لايدركه الحس ، ولايخضع للبحث والتجربة . قال تعالى : «**مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لايبغيان**»[1] . وماء البحر وماء النهر ماديان مرئيان ، ولكن البرزخ الذى بينهما معنوى لم يدر حقيقته أحد . لأنه من أسرار القدرة الآلهية العجيبة . أما الحواجز المادية فلا يقال لها برزخ وإنما يقال لها فاصل ، حاجز ، سدٌّ إلى غير ذلك .

وقد قال الله تعالى : «**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**»[2] .

---

(١) آية (١٩ - ٢٠) الرحمن .
(٢) آية (١٠٠) المؤمنون .

وهذه الآيه الشريفة بينت حال الكافر عند الموت ، وأنه يطلب من الله عند الاحتضار الرجوع إلى الحياة الدنيا ليؤمن ويعمل صالحاً ، لأنه عاين الحق اليقين الذى كذب به من قبل ، ورأى عذاب البرزخ الذى ينتظره ، وشاهد الأهوال المقبل عليها ، متمنى الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً ، ولكنَّ أجله قد انتهى ، وعمره قد انقضى ، ورجوعه مستحيل ، لأن نظام الله فى خلقه ، وسنته فى كونه لاتتبدل حتى لو رجع مانفعه هذا الرجوع شيئاً ، لأن نفسه الشريره لا تلبث أن تعود إلى ماكانت عليه من الكفر والظلم والعناد ، وتلك هى فطرتها التى عاشت عليها عمرها وحياتها . قال الله تعالى وهو أعلم بهذه النفوس : «ولو ردوا لعادوا لمانهوا عنه وإنهم لكاذبون»[1] فى طلبهم الرجعه إلى الدنيا ليعملوا صالحاً .

قال تعالى (كلا) . كلمة نفى الله بها صدق الكافر فى طلبه الرجوع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحاً ، ونفى بها أيضاً رجوعه إلى الدنيا لاستحالته . ومعنى قوله تعالى (إنها كلمة هو قائلها) أى لابد أن يقولها ندماً وتحسراً مع علمه أنه لا رجعة له ، لأنه لم ير أحداً قبله رجع إلى الدنيا . ولكنه لما عاين عذاب البرزخ تمنى الرجوع بهذه الكلمة . والتمنى هو طلب الأمر المستحيل . قال الشاعر إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليل .

قال الله تعالى : (ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون) . يرد الله على الكافرين المنكرين لحياة البرزخ ، وعلى الذين تركوا أمر الحياة البرزخية وراء ظهورهم لا يعبأون بها ولاينظرون فى أمرها ، بأنها حقيقة واقعة ، ولاحقة بهم لا محاله ، وعند الموت يرونها كما رآها صاحبهم هذا الذى طلب الرجوع إلى الدنيا عند معاينتها .

---

(١) آية (٢٨) الأنعام .

والحياة البرزخية هذه بينَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[1] . والمؤمنون يسمعون هذه الأخبار ، فيؤمنون بها ، ويستيقنون بها ، لأنها من الغيب الذى فرض الله علينا الإيمان به ، والتصديق بحقيقته . لأن بيان رسول الله للغيبيات هو حق اليقين . قال تعالى : **«وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانُزِّل إليهم»**[2] .

والقبر محسوس ملموس ، ولكن مايجرى فيه لصاحبه لايشهده ولايراه إلَّا رسول الله الذى أخبرنا به . وقد مرَّ رسول الله على قبرين يعذب فيهما صاحباهما ، فقال رسول الله «إن صاحبى هذين القبرين يعذبان ، ومايعذبان فى كبير ارتكباه . أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله ، وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة»[3] .

وإن صاحبى القبرين معروفان لأصحاب رسول الله الذين يخبرهم ، ولكنهم لو فتحوا القبرين ليروا بعين الرأس العذاب ماراأوه ، لأن العذاب يُوصِّله الله لمن يستحقه بكيفية لا يعلمها إلَّا الله ورسوله ، وقدرة الله فوق الشك والتُهَم . وكذلك كان رسول الله يخبر عن أصحاب النعيم فى البرزخ ، لأنه صلى الله عليه وسلم مبشراً ونذيراً ، وشاهداً على كل شىء . **«وماينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحى يوحى»**[4]

وأما المعذَّبون فى البرزخ من عصاة المؤمنين ، فإن الله سبحانه يعذِّبهم على قدر جناياتهم ، ثم يعفو عنهم . وهناك مواسم للعفو الآلهى ، يعفو الله فيها عن العصاة من المسلمين ، مثل رمضان وأيام الجمعة ، وأيام عرفة وعاشوراء ، وأيام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها من مواسم الخير الآلهى .

---

(١) البيهقى فى السنن عن ابن عمر .

(٢) آية (٤٤) النحل .

(٣) البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

(٤) آية (٢ - ٣) النجم .

هذا وإن عذاب القبر أنواع كثيرة ، قال تعالى : «**كل نفس بما كسبت رهينة**»[1] . ونعيمه كذلك درجات متفاوته . قال تعالى : «**لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**»[2] . فمنهم ومنهم ومنهم . أما أهل الكفر والعياذ بالله فإنهم معذبون في قبورهم حتى تقوم الساعة ، جزاءاً وفاقاً ، وماظلمهم الله شيئاً ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

فانظر كيف طلب الكافر الرجوع إلى الدنيا عند الموت ، وانظر كيف يستبشر المؤمن بالموت ويفرح بلقاء ربه الكريم ، الغفور الرحيم . . !! ، فإن الملائكة الذين يتوفون المؤمنين يقولون لهم عند الموت : (**سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**) فيهنئونهم بالتحية والسلام ، وبدخول الجنة والنعيم السرمدى : قال الله تعالى : «**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**»[3] فليس بين المؤمن وبين الجنة إلاَّ خروج الروح ، وهنالك يفرح المؤمن بلقاء الله ويستبشر ويسر سروراً عظيماً بما أكرمه الله به ، ويقول «**ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين**»[4] .

أما الكافرون فإنه ليس بينهم وبين عذاب النار إلاَّ خروج الروح ، وإن ملائكة العذاب تفزعهم وتهددهم بالإنذرات المؤلمة المحزنة ، ويضربونهم ضرباً شديداً وهم ينتزعون أرواحهم من أجسامهم . قال سبحانه : «**فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم**»[5] .

وبعد موتهم فوراً يعذَّبون فى قبورهم . قال تعالى : «**ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم**

---

(١) آية (٣٨) المدثر .
(٢) آية (٤) الأنفال .
(٣) آية (٣٢) النحل .
(٤) آية (٢٦ - ٢٧) يس
(٥) آية (٢٧) محمد ﷺ .

اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون»[١] .

فقول الله تعالى (**أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون**) يعنى يوم الموت تجزون عذاب الذُّل والهوان والنكال الشديد . ومعنى قوله تعالى (**أخرجوا أنفسكم**) تقريع وتهديد لهم ، أى مالكم استسلمتم للموت وسكراته ، فأخرجوا أنفسكم مما أنتم فيه من الخطوب والمصائب إن كنتم تملكون لها شيئاً ، فإنكم اليوم تلقون جزاءكم على سوء صنيعكم ، وليس بينكم وبين هذا الجزاء الشنيع إلاَّ خروج الروح من أجسادكم . قال الله فى شأن قوم نوح عليه السلام : «**أغرقوا فأدخلوا ناراً**»[٢] . فبمجرد إغراقهم فى الطوفان دخلوا عذاب النار ، ولا حول ولاقوة إلاَّ بالله العلى العظيم .

وإن الفاء من قوله تعالى (**فأدخلوا**) تقتضى ترتيب ما بعدها على ماقبلها ووقوعه فوراً وبدون مُهْلَه ، وتسمى فاء الفورية كقوله تعالى «**خلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**»[٣] . فإن الفاء عطفت هذه الأفعال على بعضها بدون تراخ .

ونود أن نشير إلى أن الموت الذى كتبه الله على كل حَيٍّ ، إنما هو نهاية الحياة الكونية الجسمانية ، التى تقوم بالغذاء والشراب والعلاج والتنفس ، وإنما يكون الموت بخروج الروح من هذا الجسم ، والروح سرٌّ من أسرار الله ، وغيب من أمر الله ، لم يدر حقيقتها أحد إلاَّ الله ، وإنما تقوم بتدبير هذا الجسم إلى الأجل الذى قدَّره الله لبقاءه فى الدنيا .

وإن الإنسان يدركه الموت أين كان وكيف كان . قال تعالى : «**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة**»[٤] . ومعنى

---

(١) آية (٩٣) الأنعام .

(٢) آية (٢٥) نوح .

(٣) آية (٣٨ ـ ٣٩) القيامة .

(٤) آية (٧٨) النساء

بروج مشيدة يعنى قصور منيعة ومجهزة بكل أنواع المتع والزينة ، وبعيدة عن أسباب الموت التى تعرفونها ، فإن الموت يهجم على الإنسان بسبب ومن غير سبب ، لأن الأجل قدَّره الله بالأنفاس ، فإذا انقضى آخر نفس خرَّ الإنسان ميتاً ولو كان فى ريعان شبابه وبكامل صحته وقوته ، وبين أهله وعشيرته وخدمه وحشمه ، فلن يغنى عنه كل ذلك شيئاً . قال جلَّ شأنه : «**فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون**»[1] .

والساعة عند الله أسرع من لمح البصر . والمعنى إذا حضر أجل الإنسان لايقدر أحد أن يؤخره لحظه ولا أقل ولا يقدر أحد أن يميت إنسانا قبل مجىء أجله بطرفة عين أو أقل . ذلك لأن الله نظَّم هذا الأمر وحدَّده بمشيئته وقدرته ، فلا دخل لأحد من أهل السموات والأرض فيه .

هذا وإن المقتول ميت بأجله الذى حَدَّده الله له ، وإن كان القتل سبباً فى موته . وإن القاتل يحاسب على مباشرته أسباب القتل ، وعلى قصده ونيَّته .

والموت سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وإنه آية من آيات الله عزَّ وجلَّ الدالة على كمال قدرته ، وسيطرته وقهره لعباده ، وتصريفه فى خلقه وحده لا شريك له ، له الخلق وله الأمر يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير . قال تعالى : «**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**»[2] . فكما أن الحياة آية من آيات الله الكبرى الدالة على قدرة الله وإراداته وحكمته ، فإن الموت كذلك ، وقد خلق الله الموت لأنه آيه الفناء والعدم لمظاهر الحياة التى خلقها الله فى الأحياء .

---

(١) آية (٦١) النحل .

(٢) آية (٢) الملك

وقد طلب بنو إسرائيل من سيدنا موسى عليه السلام أن يرفع الله عنهم الموت ، وألّحوا فى هذا الطلب ، فسأل سيدنا موسى ربه أن يرفعه عنهم خمس سنين ، فاستجاب الله له ، وفى خلال هذه السنين الخمس ابتلاهم الله بالأمراض الشديدة ، وبالجدب وبالفقر ، وموت الحيوانات والطيور ، ومنع عنهم الغيث وجفّ ماء العيون والآبار ، حتى أكلوا الأخضر واليابس ، والحشرات السامة والحيوانات الميته ، والكلاب والجيف ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وأخذوا يتمنون الموت فلم يجدوه ، وعلموا أن الموت هو رحمة من الله بخلقه ، وإغاثة منه لعباده ، فمرّت عليهم السنوات الخمس كخمسين ألف سنة فى شقاء وأمراض وجوع وويلات .

وقد يتمنى الإنسان الموت فلم يعثر عليه ، وقد يكرهه الإنسان فيقع عليه رغم أنفه

فكم من سليم مات من غير علة . . وكم من مريض عاش حينا من الدهر

ولله فى خلقه حكم وشئون تخفى على أهل البصائر والقلوب وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

أما حياة البرزخ فهى تشبه إلى حدٍّ كبير حياة الرؤيا المناميه ، ففيها إحساس معنوى ، وإدراك روحى ، بحيث يشعر الإنسان بالنعيم والسرور الذى يعيش فيه ، أو بالعذاب والبؤس الذى يتقلب فيه . وكل واحد من أهل البرزخ له حالة خاصة لايحسُّ بها غيره من أهل البرزخ ، فقد يجمع القبر بين ضدين ، بين مؤمن وكافر ، بين صالح وطالح ، بين تقى وفاجر ، بين مظلوم وظالم ، وكل منهم يعيش فى عالمه وفى ملكوته ، من روضات الجنةالهنيئة أو حفرة النار الملتهبة ، ولايحسُّ أحدهما بصاحبه وهما متلاصقان ، فسبحان من خلط ماء البحر الملح بماء النهر العذب ، وجعل بينهما برزخاً لايبغيان .

فلو أن رجلين نائمان على سرير واحد ، ورأى أحدهما فى منامه أنه يتمتع فى عيشة هنيئة ، يأكل ويشرب ، ويتفكر ويتلذذ بمشتهياته ، بين خلانه وإخوانه ، ورأى الآخر فى منامه أنه يمر بمحنةٍ قاسية ، وأن السباع تطارده والأفاعى تنهشه ، والنار تحرقه ، وأنه يستغيث ولامغيث . فانظر كيف يعيش كل منهما فى رؤياه ولايحس أحدهما بصاحبه وهما فى سرير واحد متلاصقان . . . !!

وحياة البرزخ كلها عجائب ، ومن صفت من الأكدار سريرته ، وطهرت من الأوزار علانيته ، وتلقى علوم البرزخ بيقين وتسليم لله ورسوله ، علَّمه الله مالم يكن يعلم ، وكاشفه بمعانى الأحاديث والآيات الواردة فى شأن الحياة البرزخية ، فازداد يقيناً وتسليماً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : «**واتقوا الله ويعلِّمكُم الله**»(١) .

هذا وإن الروح بعد خروجها من الجسد ، تأخذ منه صورته وطباعه ، وفطره وأخلاقه ، وأعماله وأحواله ، وتعيش بها فى البرزخ . وذلك لأن الروح اكتسبت كل ذلك من الجسم أيام إقامتها فيه ، حتى يتعارف مع نظراءه وأشكاله من أهل البرزخ ، كما كان التعارف فى الدنيا .

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة ، وأن يرزقنى وإخوانى جوار سيدنا رسول الله الأعظم فى الفردوس الأعلى ، إنه مجيب الدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) آية (٢٨٣) البقرة .

اليوم الخامس : يوم البعث والنشور

وهو اليوم الذى يحيى الله فيه الموتى من قبورهم ، ويعيدهم الى حالتهم التى ماتوا عليها . قال صلى الله عليه وسلم : " يبعث الانسان على ما مات عليه "(١) . فلاتتبدل صورتهم وهيئتهم عن ماكانت عليه قبل الموت ، حتى لاينكر احد نفسه ولاينكره أهله وإخوانه والناس الذين كانوا يعيشون معه .
وإذا أراد الله أن يبعث الناس ، أمر الارض بما فيها من بحار وجبال وسهول ووديان وصحارى وقفار ، وهواء وأرجاء وأجواء أن تجمع عناصر كل إنسان الى بعضها ، لانه لو صار هباءاً وذرًات ، تفرقت فى جميع أرجاء الارض ، لجمع بفعل الجاذبية التى استودعها الله فى ذرات كل كائن ، وذلك عند زلزلة الارض واهتزازها . لان الانسان لم يخرج منها ، إذ أنه موجود فيها . قال تعالى" **إذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض أثقالها** "(٢).

فاذا ما جمعت تلك العناصر الى بعضها ، أمر الله السماء أن تمطر ماءاً كمنى الرجال ، يختلط بهذه العناصر حتى تكون طيناً ، ويتمدد هذا الطين على هيئته التى كان عليها قبل الموت ، ويرسل الله عليه الرياح فتجففه ، والحرارة فتسوية حتى يصير كالفخار ، ثم يأمر الله الملك الموكل بالنفخ فى الصور . فينفخ فيه ، فتطير كل روح إلى جسدها لاتخطئه فتدخل إليه " **فإذا هم قيام ينظرون** " (٣) **وكما قال تعالى " كما بدأكم تعودون** " (٤)

وهذا اليوم أشار الله اليه بقوله" **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث**

---

(١) أبو داود وابن حبان والحاكم عن أبى سعيد .
(٢) آية (١ - ٢) الزلزلة .
(٣) آية (٦٨) الزمر .
(٤) آية (٢٩) الأعراف .

ولكنكم كنتم لاتعلمون ".[1] وذلك ردًا على منكرى البعث الذين يدّعون أنهم لم يمكثوا فى الأرض إلّا ساعة ، واحدة لم يتمكنوا فيها من معرفة الله ورسله وما أنزله الله عليهم . فردَّ عليهم أهل العلم والإيمان بأنهم كاذبون فى ادعائهم ، وأنهم لبثوا فى الأرض إلى يوم البعث ، ولكنهم جهلوا بذلك لعدم قبولهم هذه المعارف والحقائق فى الدنيا من أهل العلم والإيمان .

ويوم البعث يسمى يوم القيامة ، ويوم الرجوع إلى الله ، ويوم الساعة ، ويوم الميعاد . قال الله تعالى : «**كما بدأكم تعودون**»[2] ، وقال جلَّ شأنه : «**كما بدأنا أول خلق نعيده**»[3] ، وقال سبحانه : «**يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون**»[4] .

وسيكون الخلائق يوم البعث على ثلاثة أنواع :

النوع الأول :يقومون من قبورهم إلى الجنة . وهم الصديقون والشهداء ، والصالحون والمقربون ، وأهل اليمين ، وهم عامة المؤمنين الذين ماتوا على توبة صادقة ، وكانوا فى الدنيا من أهل الإيمان والعمل الصالح ، وإن كانوا يتفاوتون فى درجات الجنة . قال تعالى : «**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً**»[5] .

وهذا النوع من الناس لا يشهدون أهوال يوم القيامة ، ولايخافون ولايحزنون «**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**»[6] . «**لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون**»[7] .

والنوع الثانى:يقومون من قبورهم إلى النار والعياذ بالله ، وهم الكافرون والمشركون ، والضالون والمغضوب عليهم . وهؤلاء لا

(١) آية (٥٦) الروم . (٢) آية (٢٩) الأعراف .
(٣) آية (١٠٤) الأنبياء . (٤) آية (٤٣) المعارج .
(٥) آية (١٠٧) الكهف . (٦) آية (٨٢) الأنعام .
(٧) آية (١٠٣) الأنبياء .

ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم . قال تعالى : «**أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**»[1] . وقال جلَّ شأنه : «**فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولاجان . فبأى ألآء ربكما تكذبان . يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام**»[2] .

وهؤلاء يشهدون الأهوال الشديدة ، والمصائب الفظيعة ، والمخاوف والأحزان والآلام القاتلة ، وهم مسوقون ومقهورون إلى جهنم والعياذ بالله ، وقد تمنى كل منهم أن يكون تراباً ، ولكن هيهات .. هيهات ، فإن قلوبهم تتقطع من الحسرة ، وأكبادهم تتفتت من الأسف ، ولايغنى عنهم ذلك من العذاب شيئاً . واسقاطهم من الحساب والمساءلة لأنهم أهملوا عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم التى منحها الله لهم ، بل إنهم استعملوها فى محاربة من وهبها لهم ، فكانوا أضل من الوحوش الضارية والحشرات السامة التى يقتلها الإنسان بمجرد رؤيتها ، لأنها لا خير فيها بالمرة .

وهناك صنفٌ من المجرمين فى الدنيا لاتفيد محاسبته ، ولاتجدى مساءلته لأن نفسه قد تمرَّست على الإجرام ، واستمرأته ، وصار لايعيش إلَّا على القنص والسفك وارتكاب الفظائع ، وقد جعل الله جزاءه فى الدنيا سرعة التخلص منه لعدم الأمل فى اصلاحه . قال تعالى : «**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم**»[3] .

وإن الحكمة من الحساب هى إقرار العدالة فى الحكم ، وإظهار الحق والصواب حتى يرى المحَاسبُ أنه قد أخذ حقه ولم يظُلم شيئاً .

---

(١) آية (١٠٥) الكهف . (٢) آية (٣٩ ـ ٤١) الرحمن .

(٣) آية (٣٣) المائدة .

ولكن الكافر بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، قد أهدر حقه ونصيبه ، كما أنه أضاع حق الله وحق رسله ، فلم يكن له نصيب بالمرة فى أى شيء يطالب به ، حتى إنه يحكم على نفسه يوم القيامة أن عذاب النار هو أقل جزاء له على كفره بالله وإصراره عليه . قال تعالى : « **إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** »[1] .

والنوع الثالث من الناس يوم القيامة هم أهل الحساب ، وهم المسلمون الذين ارتكبوا المخالفات ولم يتوبوا إلى الله منها ، وماتوا على ذلك ، وهؤلاء أمرهم مفوض إلى الله عزَّ وجلَّ ، إن شاء عذَّبهم ، وإن شاء عفا عنهم . والحساب له مواقف كثيرة ، وأنواع متفاوتة . فمن الناس من يحاسبه الله سرّاً ومنهم من يحاسبه الله جهراً ، ومنهم من يحاسبه الله حساباً يسيراً ومنهم من يحاسبه الله حساباً عسيراً ، ومنهم من يقرِّره الله على أعماله فيقرِّها ويقبل الله اعتذاره ويأذن له فى دخول الجنة ، ومنهم من يشفع له الشفعاء فيعفو الله عنه بتلك الشفاعة ، ومنهم من يسامحه أصحاب المظالم فيدخله الله الجنة بذلك ، ومنهم من يدفع الله عنه لأصحاب الحقوق حقوقهم ثم يدخله الجنة ، ومنهم من يستغيث برسول الله فيغيثه الله برسوله ، ومنهم من يستجير بالله فيجيره الله ، وهو سبحانه « **يجير ولا يجار عليه** »[2] ، ومنهم من يعذِّبه الله على سيئاته ثم يدخله الله الجنة بعد ذلك ، ومنهم من تزيد حسناته على سيئاته وهو من الناجين ، ومنهم من تتساوى حسناته مع سيئاته وهو كذلك من الناجين ، أما من زادت سيئاته على حسناته ، فإما أن يدركه الغوث من أى ناحية ، وإما أن يأخذ نصيبه من العذاب ثم يدخل الجنة بعد ذلك .

ولكن الله سبحانه سبقت رحمته غضبه ، وسبق عفوه عقابه ، وسبق حلمه مؤاخذته ، وذلك الفضل كله لأهل الحساب الذين يحاسبهم الله على أعمالهم .

---

(١) آية (١٤) الإسراء (٢) آية (٨٨) المؤمنون

اليوم السادس : يوم الحساب

قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبَّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »[٣] .

والموازين هى المعايير والمقاييس التى يحاسب الله الناس بها يوم القيامة ، وهى أحكام الله وآدابه ، ووصاياه وتعاليمه ، وشرائعه ودياناته التى أرسل بها المرسلين إلى الناس فى هذه الدنيا ، فمن وفَّى فله الجنة ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ولا تظلم نفس شيئاً.

وإن عمل الإنسان مثقال حبَّة من خردل وتاهت أو ضاعت فى أرجاء السموات والأرض ، ولم يعرف عنها أحد شيئاً ، ولم يذكرها صاحبها ، أتى الله بها وأحضرها ، لأنها فى ملكه وملكوته ، وفى قبضته . وهذه قدره عجيبة لم يسمع أحد بمثلها ولا يقدر الثقلين على شيء منها ولو اجتمعوا عليه . فسبحان ذى الملك والملكوت وسبحان ذى القدرة والعزة والجبروت . وسبحان الحى القيوم على كل شيء ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو العلى العظيم ، وكفى به حسيباً وحفيظاً ورقيباً ، وهو سبحانه وتعالى أسرع الحاسبين .

ويوم الحساب يطول ويقصر بحسب أعمال كل عبد . وقد قال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أيكون الحساب على يديك ؟ قال النبى : لا قال الأعرابى : أيكون على يد الملائكة ؟ قال النبى : لا . قال الأعرابى : أيكون على يد الله ؟ قال النبى : نعم : فقال الأعرابى لنفسه : أبشر يا أعرابى فما استوفى كريم دينه . فقال رسول الله ؛ لقد فقه الأعرابى .

وقد ورد أن رجلا كان يطوف بالبيت ويقول : يا كريم ، ورسول الله يطوف وراءه ويقول مثله : يا كريم . فالتفت إليه الرجل وقال له ؛ أتهزأ بى يا أخا العرب ؟ والله لولا أنك كريم المحيا لشكوتك

---

(٣) آية (٤٧) الأنبياء .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له رسول الله : ألا تعرف رسولك يا أخا العرب ؟ فأدرك الرجل أنه بين يدى رسول الله ، فقال : يا رسول الله أيحاسبنى ربى ؟ قال له : نعم . قال الرجل : إن حاسبنى على ذنبى حاسبته على مغفرته ، وإن حاسبنى على جهلى حاسبته على حلمه ، وإن حاسبنى على ظلمى حاسبته على عفوه ، وإن حاسبنى على بخلى حاسبته على كرمه ، فقال رسول الله للرجل : أبشر يا أخا العرب ، فقد جاء جبريل وقال : يانبى الله قل لصاحبك إن الله يقول لك أبشر لا نحاسبك ولا تحاسبنا »(١)

وذلك فضل الله وكرمه . أللهم لا تحاسبنا فإنك إن حاسبتنا أهلكتنا ، ولا تسألنا فإنك إن سألتنا ضيعتنا ، وأدخلنا الجنة من غير سؤال ولا حساب.

ويقول الله فى الحديث القدسى " ينادى المنادى من بطنان العرش يوم القيامة فيقول : يا أهل التوحيد ليعفوا بعضكم عن بعض أعف عنكم "(٢) .

وقال تعالى مذكِّراً بهذا اليوم : "**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئاً** "(٣) . وقال تعالى ناعياً على الكافرين حالهم لنسيانهم هذا اليوم : " **فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم** "(٤) . وقال تعالى متوعداً الكافرين الذين يضلون عن سبيل الله ، والناسين ليوم الحساب : " **إن الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** "(٥) . وقال رسول ﷺ : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم "(٦) .

---

(١) رواه الغزالى فى الإحياء .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن أنس (٣) آيه (٣٣) لقمان .

(٤) آية (١٤) السجدة . (٥) آيه (٢٦) ص . (٦) رواه أحمد وابن عساكر وابن أبى الدنيا .

ومن رحمة الله بعباده المؤمنين ، أنه لايحاسبهم على ماأحل لهم وأباحه إليهم فى هذه الحياة الدنيا ، من الأكل والشرب واللبس ، والسكن والزواج وغير ذلك مما أكرم الله به المؤمنين فى الدنيا من الطيبات التى أباحها لهم ، قال تعالى : " **قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** "(١) .

يعنى تفضل الله بها على المؤمنين فى الدنيا ، وأكرمهم بها ، ثم أسعدهم بها فى الآخرة خاصة وخالصة لهم من دون الكافرين ، لايشاركونهم فيها كما كان فى الدنيا ، لأنها دار أعطى الله الفرصة فيها للجميع ، المسلم والكافر ، أما الآخرة فهى دار جزاء على ماقدم كل واحد فى الدنيا ، فحرم الكافر من النعم التى أمدَّه الله بها فى الدنيا لأنه كفر بها ولم يشكر المنعم عليها . وأما المؤمن فقد أسعده الله بها فى الآخرة لأنه عرف حقها فى الدنيا وأدَّاه وشكر الله عليها .

وإن الجزاء من جنس العمل ، فإنَّ شكر الله على نعمه يديمها ويزيدها ، وإن جحود حق الله فيها يضيِّعها ويحرم منها فى الآخرة . وقد قال الحكيم :

إذا كنت فى نعمة فارعها ... فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإلـه ... فإن الإله سريع النقم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : " **لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد** "(٢) " **رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** "(٣) .

---

(١) آيه (٣٢) الأعراف (٢) آيه (٧) إبراهيم (٣) آيه (١٩) النمل .

والحساب هو البحث الدقيق عن كل جزئية وإن صغرت جدا ، من جزئيات الموضوع الذى يحاسب الله الإنسان عليه . قال تعالى : " **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** " (١) . والله لاتخفى عليه خافية ، " **يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور** " (٢) . " **يعلم السرَّ وأخفى** " (٣) .

ويمكن للإنسان أن يتفلت من أى قوة تحاسبه ، وأن يكذب عليها ، وأن يُموِّه عليها ، وأن يُمثل أمامها ، ويخدعها ، ولكن الله الذى خلق الإنسان وصوَّره وعلم بكل شىء يكون منه قبل أن يخلقه ، هو الذى يحاسب الإنسان ، حتى إن حاول الإنسان أن يكذب على الله ، أخرس الله لسانه ونطقت أعضاءه وجوارحه بما فعلت . قال تعالى : " **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** " (٤) .

فسبحان من أنطقها وأنطق كل شىء من أرض وحيوان ، وزرع وبحر وهواء ، وليل ونهار وفلك وأشهده على الإنسان بما باشر من أعمال وأقوال وأحوال .

اللهم إننا عبيدك الضعفاء المساكين الأذلاء ، فلا تحملنا مالا قبل لنابه من المحاسبة والمساءلة ، واجعلنا من الذين أكرمتهم بقولك " **فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** " (٥) ، وقولك سبحانك " **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** " (٦) .

وقد قال بعض العارفين :

حاسبونا فدققوا ... ثم مَنُّوا فأعتقوا

كذلك شأن الملوك ... بالمماليك تُرفقْ

---

(١) آيه (٧-٨) الزلزله . (٢) آيه (١٩) غافر (٣) آيه (٧) طه .

(٤) آيه (٦٥) يس . (٥) آيه (٤٠) غافر (٦) آية (١٠) الزمر

وقد قال سيدنا ابن عطاء الله السكندرى : (إلهى كم من طاعة لك بنيتها وحالة شيدتها ، هدم اعتمادي عليها عدلك ، بل أقالنى منها فضلك . إلهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار . إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك !! أيكون لغيرك من الظهور مالا يكون لك حاشا . إلهى فاجمعني عليك بفضل منك يجذبنى إليك . إلهى عميت عين لاتراك عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً) .

يوم الحساب وما أدراك مايوم الحساب ، هو يوم القضاء والفصل بين الناس وإعطاء كل ذى حق حقه . قال تعالى : " **فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلاَّ ماكنتم تعملون** "[1] . وهو يوم تشيب فيه الولدان من الرعب والخوف ، وهو يوم تذهل فيه كل مرضعة عن رضيعها لعظم انشغالها بنفسها ، وما تتوقعه عند محاسبتها . وهو يوم ترجف فيه القلوب ، وترتعش فيه الأعضاء ، وترتعد فيه الفرائص من خوف ماينزل بها من حكم الحكم العدل ، العليم الخبير ، الذى ينصف الناس من أنفسهم ومن بعضهم ، ولا يظلم أحداً شيئاً .

وهناك سؤال وهو أخف من الحساب بكثير ، لكنه نوع من أنواع الحساب اليسير . قال تعالى : « **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** »[2] . وقال تعالى : « **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** »

وقد يكون السؤال للتكريم والتقدير ، كمساءلة الله للمرسلين عن استجابة قومهم لهم ، وسؤال الله للمؤمنين عن المرسلين ، فإنهم يشهدون للرسل بالتبليغ والنباهة ، والحكمة والأمانة ، والعصمة والفطانة .

وبانتهاء الحساب مع الإنسان ينتهى يوم حسابه ، وتذهب به الملائكة الموكلون به إلى تنفيذ الحكم الإلهى الذى صدر له أو عليه فوراً ، فإذا كان للجّنة فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإذا دخل النار ، أخذ

---

(١) آية (٥٤) يس . (٢) آية (٨) التكاثر .

يستغيث بالله ورسوله ، فيخرج منها بشفاعة رسول الله ، أو بعفو الله – ويسمى عتيق الله من النار – أو بعد انقضاء مدة الحكم الذى عليه ، وينتهى أمره بدخول الجنة .

اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار ، ومن كل عمل أو قول أو حال يقربنا إلى النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك وكرمك ياعزيز ياغفار ، بجاه النبى المختار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اليوم السابع : يوم الخلود

والخلود هو البقاء الأبدى السرمدى ، الذى لا نهاية له ولا يشوبه كدر انقطاع أو زوال ، وينادى المنادى : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت . فتزيد بهجة أهل النعيم وسرورهم ، وتعظم حسرة أهل الجحيم ويتضاعف حزنهم .

قال الله عزَّ وجلَّ تكريماً للمؤمنين : « **ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود** »[1] . أى أدخلوا الجنة بسلام ، وفرح وأمان ، وسرور وإبتهاج ، فإن ذلك اليوم هو يوم الخلود والحياة الباقية الدائمة فى ظلال النعيم المقيم . قال سبحانة فى بيان هذا النعيم الأبدى والخلود السرمدى : « إنَّ هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون »[2] .

وإن أهل الجنة يتقلبون فيها فى كل وقت فى الدرجات العالية ، والرقى والرفعة التى لا نهاية لها ، فكل ساعة يشهدون لوناً جديداً من ألوان الجمال الملكوتى ، وينالون لذة جديدة من لذات الجسم والحس والعقل والروح ، بحيث تنتهى كل حقيقة بما يناسبها من نعيم الجنة . قال تعالى : « **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً** »[3] .

---

(١) آية (٣٤) ق (٢) آية (٦٠ - ٦١) الصافات . (٣) آية (٢٥) البقرة

يعنى وأتتهم به الملائكة متشابها فى اللون ، ومختلفاً فى الطعم والرائحة واللذة . ولا يزال حالهم وجمالهم وأنسهم متجدداً على الدوام من غير تكرار لشيء من هذا النعيم . **قال تعالى : « لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد »**[1] . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعدَّ لعباده الصالحين فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[2] .

وكان الخلود فى هذا النعيم جزاءاً للمؤمنين ، لأنهم لو طالت بهم الحياة فى الدنيا إلى يوم القيامة ، لاستمروا على إيمانهم وعلى صالحات أعمالهم ، ما غيَّروا وما بدَّلوا ، وما تهاونوا وما توقفُّوا ، فكان جزاءهم سعادة الأبد فى الجنة وهى دار تكريم الله لأولياءه وأحبابه . قال تعالى : « **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** »[3]. وقال جلَّ شأنه : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطَّهرة وهم فيها خالدون »[4] .

وأما أهل النار من الكافرين والمشركين والضَّالِّين ، والمغضوب عليهم والملحدين والمنافقين ، فإنهم جميعاً خالدون فى عذاب الله ، ولا حول ولا قوة الاَّ بالله ، جزاءاً بما كانوا يعملون .

وإنَّ العذاب يتجدد لهم ، ويتنوع لهم على حسب كفرهم وأعمالهم ، وكلما نضجت جلودهم - يعنى احترقت من النار - بدَّلهم الله جلوداً غيرها من نفس أجسامهم ليذوقوا ألم العذاب ، وبأسه وشقاءه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والله لا يظلمهم شيئاً ، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وشركهم ،

---

(١) آية (٣٥) ق

(٢) رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٣) آية (١٠٧ ـ ١٠٨) الكهف

(٤) آية (٢٥) البقرة .

وجحودهم وعنادهم ، ومحاربتهم للحق واهله ، وتكذيبهم لله ورسله . والجزاء من جنس العمل ، قال تعالى فى شأن المنافقين : « **لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** »(١) . **وقال جل شأنه فى شأن الكافرين** « **بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون . فبشرهم بعذاب أليم** »(٢) **وقال سبحانه :** » **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرُّ البرية** »(٣) .

وكان خلودهم الأبدى فى النار لأنهم لو طال عمرهم إلى أبد الأباد ، لم يزدادوا إلَّا كفراً وجحوداً وضلالاً ، فكان جزاءهم على قدر كفرهم ، وعلى سوء نياتهم التى أصرُّوا عليها ، وشركهم الذى أقاموا عليه ، ولو مكثوا فى الدنيا ملايين السنين ، لظلُّوا على شركهم وكفرهم . وإن مغفرة الله حظر عليهم قال تعالى : « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » .(٤) .

هذا وإننا نؤمن بأن الله سبحانه قد قدَّر كل شىء فى علمه القديم ، وإن ما يجرى فى هذه الحياة الدنيا من شئون وأمور ، صغيرة كانت أم كبيرة ، قد أرادها الله عزَّ وجلَّ ، وقدَّر وجودها فى سابق علمه . وكذلك ما سيكون فى الآخرة ، فإنه بمشيئة الله وقدرته ، وأن العوالم كلها مربوبة لرب قوى متين ، مريد عالم ، حكيم قادر ، وأن جميع الكائنات والمخلوقات فى قبضتة وتحت سلطانه وقهره ، بيده الخلق والأمر ، وبيده الخير وهو على كل شىء قدير .

وأن أهل السموات وأهل الأرض لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً ولا نفعاً ولا ضراً إلَّا ماشاء الله .

---

(١) آية (١٠) البقرة (٢) آية (٢٢ - ٢٤) الأنشقاق . (٣) آية (٦) البينة .

(٤) آية (٤٨) النساء

وأن الله سبحانه خلق خلقاً للوفاء والصفا ، وخلق خلقاً للقطيعة والجفا وقد قال جلَّ شأنه فى كتابه العزيز : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير »[1] وقال سبحانه : « **لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون** »[2] . وقد ورد فى الحديث القدسى ما معناه أن الله عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة لملائكته : « **يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب . ياعبادى : حَضِروا حجتكم ، ويسروا جوابكم ، فأنكم مسئولون محاسبون** »[3]. وقال جلَّ جلاله فى شأن المؤمنين : « **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون** »[4]. وقال سبحانه فى شأن الكافرين : « **إن الذين حقَّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** »[5].

وإن هذا التقدير الإلَهى لحكمة عالية ، هى الإيمان واليقين بكمال تصرف الله المطلق فى جميع مخلوقاته ، من غير شريك ولا معين ولا مشير . فسبحان الله » **ذو العرش المجيد . فعال لما يريد** »[6] .

وإن أهل الجنة قد يسَّر الله لهم أسباب دخولها من الإيمان والعمل الصالح ، والابتعاد عن كل ما حرمه الله عليهم . وإن أهل النار قد أجرى الله أسباب دخولها على أيديهم من الكفر والشرور والآثام ، والبعد عن كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح .

---

(١) آية (٧) الشورى .
(٢) آية (٢٣) الأنبياء .
(٣) روى الديلمى عن معاذ « إن الله تعالى ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير وضيع ، ياعبادى أنا الله لا إله إلاَّ أنا أرحم الراحمين واحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين . ياعبادى : لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، فاحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فانكم مسئولون محاسبون ، ياملائكتى أقيموا عبادى صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب »
(٤) آية (١٠١ ـ ١٠٢) الأنبياء .
(٥) آية (٩٦) يونس .
(٦) آية (١٥ ـ ١٦) البروج .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** »[1] . جواباً لمن قال له ما معناه : يا رسول الله قد سبقت الحسنى لأهل الجنة ، وحقت كلمة العذاب على الكافرين . فما فائدة العمل ؟ . فكان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الذى تقدم .

وقدر الله أن تكون حياة الإنسان أبدية ، لإنه أحسن صورة وأكمل حقيقة خلقها الله عزَّ وجلَّ على معانى أسماءه وصفاته ، وأخلاقه وكمالاته وجمالاته ، وحمَّله جميع أماناته ، فحملها دون بقية مخلوقاته . وإن الله عزَّ وجلَّ قد أهلَّه بذلك للحياة السرمدية ، وخدَّم له عوالم ملكوته فى الآخرة كما سخرَّ له عوالم ملكه فى الدنيا ، ليعلم الإنسان قدَره ، وأنه سيد مطاع بإذن الله فى عالم السموات والأرض ، فى الدنيا والآخرة .

اللهم اجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبذلك قد تم الحديث عن ذكر أيام الله والتذكير بها فى هذه الرسالة القصيرة ، ولعلنى أكون قد وفيت ببعض الواجب على لإخوانى المسلمين الذين أوجب الله علىَّ تذكيرهم وتذكير نفسى معهم « **فإن الذكرى تنفع المؤمنين** »[2] صدق الله العظيم .

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن حنبل من حديث على وعمران بن حصين .

(٢) آية (٥٥) الذاريات .

العظام ، وإن فيها لعبره وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وكذلك أيام الاسلام المجيدة مثل أيام الحج ، وأيام رمضان ، وأيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأيام الإسراء والمعراج وعاشوراء وتاسوعاء ، وأيام إنزال القرآن وليلة القدر ، وأيام الانتصارات والفتوحات التى فتح الله بها على المسلمين البلاد ، وأدخل أهلها فى دين الله أفواجاً ، ومثل أيام الجمعة والعيدين والهجرة ونحوها .

وإننى أرجو الله عزَّ وجلَّ أن أكون قد ألممت إلمامة ولو يسيرة بتلكم الأيام السبعة ، ليرى أخى المسلم فيها بعض ما يطلبه من الوقوف على أخبار هذه الأيام ، ولتكون هدى ونوراً لروحى وروحه ، نهتدى به فى معرفة ما خفى علينا من أمر هذه الأيام ، ولتكون وسيلة لطلب المزيد من العلم بها ، فإننى لم أعرف عن هذه الأيام إلاَّ القليل جداً ، وفوق كل ذى علم عليم . قال سبحانه : « **وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً** »[1] .

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يتقبلها منى ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يغفر لى ذنوبى ما علمت منها وما لم أعلم ، وأن يغفر لجميع المسلمين ، إنه سميع قريب مجيب . وصلى الله على سيدنا مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم ..... آمين ... وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم والحمد لله رب العالمين .

---

(١) آية (٨٥) الاسراء .

الفهرس

صدر للمؤلف

١ ــ خواطر إيمانية حول تنظيم الاسرة .
٢ ــ الامام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين .
٣ ــ أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق .
٤ ــ علامات وقوع الساعة .
٥ ــ حكمة الحج واحكامة .
٦ ــ مصابيح على طريق الإيمان (ثلاثة أجزاء) .
٧ ــ شُعب الإيمان .
٨ ــ عبادة المؤمن اليومية .
٩ ــ شرح الفتوحات الربانية
فى الصلاة على خير البريه للامام
المجدد السيد / محمد ماضى ابو العزائم

تحت الطبع للمؤلف

١ ــ مواقف بعض الرسل فى القرآن الكريم .
٢ ــ قبسٌ من معانى سورة النور .
٣ ــ كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله .
٤ ــ الإنسان الوسط .
٥ ــ الإسراء معجزة خالدة .
٦ ــ رسالة الصيام .
٧ ــ الإنسان الأكمل .

رقم الايداع ٤٦٥١ / ٨٥

مطبعة ستراند الحديثة